

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[670] ولعل استخدام كلمة "بالحق" في هذه الآية جاء للإشارة إلى أن القصّة المذكورة قد أضيفت لها خرافات مختلفة، ولبیان أن القرآن الكريم جاء بالقصة الحقيقية التي حصلت بين ولدي آدم (عليه السلام). ولا شك أن كلمة "آدم" الواردة في الآية، تشير إلى أبي البشرية الحاضرة، وإنّ ما ذهب إليه البعض مع أنّها إشارة إلى شخص من بني إسرائيل اسمه "آدم" لا أساس له من الواقع، لأنّ هذه الكلمة استخدمت مراراً في القرآن للدلالة على اسم أبي البشرية، فلو صحّ الافتراض الأخير لوجب أن تشتمل الآية – أو الآيات – التي بعدها على قرينة تصرف الاسم عن مسماه الحقيقي الأوّل، ولا يمكن لآية (من أجل ذلك ...) التي سيأتي تفسيرها قريباً، أن تكون قرينة على الافتراض المذكور كما سيأتي تفصيله. وتواصل الآية سرد القصّة فتقول: (إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ...). وقد أدت هذه الواقعة إلى أن يهدد الأخ – الذي لم يتقبل القربان منه – أخاه بالقتل ويقسم أنّّه قاتله لا محالة، كما جاء في قوله تعالى في الآية: (قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ) أما الأخ الآخر فقد نصح أخاه مشيراً إلى أن عدم قبول القربان منه إنّما نتج عن علاّة في عمله، وأنّه ليس لأخيه أي ذنب في رفض القربان، مؤكداً أن القبل أعمال المتقين فقط حيث تقول الآية: (قَالَ إِنَّكَ يَتَّخِذُ الْإِنْسَانُ عِدَّةَ لِقَاءِ رَبِّهِ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيْ يَدِي لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّكَ لَا تَؤْتِي عَهْدَكَ عَلَافًا شَدِيدًا) (البقرة: 249). وأكد له أنّّه لو نفذ تهديده وعمد إلى قتله، فإنّه – أي الأخ الذي تقبل القربان منه – لن يمد يده لقتل أخيه، فهو يخاف الله ويخشاه، ولن يرتكب أو يلوّث يده بمثل هذا الإثم حيث تقول الآية: (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيْ يَدِي لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّكَ لَا تَؤْتِي عَهْدَكَ عَلَافًا شَدِيدًا) (البقرة: 249). وأضاف هذا الأخ الصالح – مخاطباً أخاه الذي أراد أن يقتله – أنّّه لا يريد أن